وبفراره انتهت ولايته الفعلية فكانت مدتها سنة وثلاثة شهور .

واجتمع المشايخ وكبار العلماء فى ١٤ محرم سنة ١٢١٨ هـ — ٦ مايو سنة ١٨٠٣ ، ببيت القاضى (دار المحكمة) وذهبوا صحبته إلى بيت محمد طاهر باشا وأعلنوا باختياره قائممقام ، إلى أن تحضر له الولاية[١] أو يعين وال آخر ، وطلبوا منه رفع المظالم التى كان الناس يشكون منها . على أن طاهر باشا لم يدم له الأمر ، فقد اشتهر بالظلم والجبروت وأطلق لجنوده الألبانيين عنان السلب والنهب وضرب الغرامات الفادحة على التجار ، وكان الجنود الإنكشارية الذين فى المدينة قد قاموا يطالبون برواتبهم المتأخرة ، مقتدين بالجنود الأرناؤود ، فرفض طاهر باشا طلبهم وظهر تحيزه إلى الأرناؤود وتحامله على الإنكشارية ، فلما كان يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٠٣ ، ذهب رهط منهم يبلغ عدده ٢٥٠ فى أسلحتهم بقيادة اثنين من زعمائهم ، وكلماه فى الشكوى من تأخير دفع الرواتب ، فانتهرهما ورفض سماع شكواهم ، فما كان من أحدهما إلا واستل سيفه وضرب طاهر باشا وقتله وأحرقوا داره ، فكانت مدة حكمه أياما معدودة .

قال الجبرتى[٢] :

« لو طال عمره أكثر من ذلك لأهلك الحرث والنسل » .

أصبح محمد على باشا بعد مقتل طاهر باشا هو قائد الجنود الألبانيين وعددهم ٤٠٠٠ مقاتل . فتحالف مع المماليك بقيادة زعيمهم إبراهيم

---

(١) يصدر له فرمان من السلطان العثمانى بتعيينه واليا رسميا .

(٢) ص ٣٦٩ تاريخ الحركة القومية . الجزء الثانى .